# إلى الحسا مجددا(*)

## السيدة/ كورنليا دالنبرج

**ترجمة: موسى بن عبدالله مباركي**
دارة الملك عبدالعزيز

### مقدمة المترجم

إن هذه المقالة عبارة عن تقرير ميداني للسيدة/كورنليا دالنبرج خلال رحلتها من البحرين إلى منطقة الأحساء في شهر يناير عام١٩٤٠م (١٣٥٨هـ)، حيث كانت تعمل في الحقل الطبي في الإرسالية الأمريكية بالبحرين في الأربعينيات من القرن الماضي.

لقد آثرت اختيار هذه المقالة من بين مقالات أخرى عدة؛ لأن الكاتبة قدمت لنا صورة للحياة الاجتماعية آنذاك وكذلك للطبيعة الجغرافية للمنطقة التي تفصل بين الخليج العربي ومنطقة الأحساء بطريقة شائقة، وقبل ذلك أظهرت مدى التباين في بلاد البحرين خلال عقد من الزمان. ثم ختمت تقريرها بأنها استمتعت بتلك الزيارة رغم قصر المدة التي قضتها في الأحساء.

ورغم أن الهدف من تلك الرحلة إلى جانب تقديم الخدمات الطبية هو التنصير في المنطقة، إلا أن الإفادة من مضامين هذه المذكرات كبيرة جدا؛ لما تعرضه من جوانب تاريخية قد تفيد الباحثين عموما.

**ملحوظة:** المقالة الآتية مأخوذة من رسالة شيقة للغاية أرسلتها السيدة دالنبرج إلى زملائها العاملين في الإرساليات التبشيرية. (المحرر).

بما أن رسالتي هذه هي الأولى من البحرين بعد غياب دام عشر سنوات فإني أستميحكم عذرًا على بعض التعليقات الشخصية. إن الدهشة تأسرني إزاء ما حصل من تغيرات في البحرين خلال العقد

(*) "Into Hassa again" by Miss Cornelia Dalenberg. In : **Neglected Arabia**, Vol. V11 no. 187 October, 1939- March, 1940.

الماضي، فهي ليست أكثر من جزيرة منعزلة. كثيرًا ما يتم سماع دوي الطائرات المحلقة إلى الحد الذي لا يلفت انتباه العرب لها، بل إنهم لا يرفعون حتى أبصارهم لمشاهدتها عند سماعها.

وقد يصل زائر أوربي إلى المطار، وينطلق في سيارة، ويسكن في منزل مكيف الهواء في المخيم الخاص بعمال النفط، ويغادر الجزيرة دون أن يرى الكثير من حياة العرب. آمل ألاَّ تفوت أي أجنبي هذه الفرصة؛ إذ إنه يفقد شيئًا مهمًا فيما لو جاء إلى البحرين، ولم يشاهد سوى النفط والثروات والرفاهية لدى البعض. فبواسطة السيارة أصبح الوصول سهلاً لأنحاء الجزيرة كافة.

وفي تلك الفترة التي قضيناها في دراسة اللغة لم يكن فيها آنذاك سوى سيارة أو سيارتين، وكنا نقوم بالزيارات الطيبة بواسطة الحمير، أما الآن فمن الممكن الوصول إلى جزيرة المحرق في أقل من ساعة؛ وذلك بفضل الجسر الجديد الذي يربط الجزيرتين ببعضهما.

اعتدنا فيما مضى أن نقضي ساعة أو ساعتين عبر مركب شراعي للوصول إلى المحرق، ولكن هذا التأخير له حسناته، فمن خلاله وفي مدة لا تقل عن ثلاث ساعات يتمكن الطبيب من مطالعة مجلاته الطبية في راحة بال وهدوء بعيدًا عن مئات الأشياء التي تتطلب اهتمامه في المستشفى.

كنت مسرورة وأنا أرى الحدائق والنباتات والأشجار، في حين لم يكن يرى الشخص سوى الحجارة والرمال، أما اليوم فتوجد أربع حدائق في مقر البعثة كل منها تنتج الأزهار، وسررت أيضًا وأنا أشاهد أم مريم والأيتام يقطنون منزلاً ملكا لهم نظيفًا تدخله الشمس والهواء ويتوافر به كل ما يحتاجون إليه.

في غضون شهر كان هناك طلب من أسرة مشهورة ذات سلطة في الهفوف بمنطقة الحسا يتضمن استدعاء طبيبة أو ممرضة لوجود حالة ولادة، وكان هناك طلب مماثلٌ في الوقت ذاته من الخبر وآخر من العقير، فطلب منهم الدكتور / ستورم (Storm) إرسال المرضى إلى البحرين، بيد أن أهالي الحسا قالوا: إن ذلك مستحيل؛ لذلك وافق الطبيب/ ستورم، واقترح أن أذهب.

وبدأنا الرحلة أنا وإحدى المعاونات بالمستشفى، وتدعى / مريم مسقطي - التي سبق أن ذهبت إلى تلك النواحي مرتين - بعد عيد الأضحى بواسطة مركب محلي سيصل إلى ميناء العقير بالأحساء بعد الظهر تقريبا في اليوم نفسه الذي بدأنا رحلتنا فيه حسب وعدهم لنا، وستكون هناك سيارة بانتظارنا لتقلنا إلى الهفوف. يبدأ الثلث الأول من الرحلة إلى العقير حول الجزء الشمالي لجزيرة البحرين، وما أن أوشكنا على قطع الجزء الأول من الرحلة حتى تغيرت الرياح، وخشية من حدوث عاصفة حول النوخذة[١] مساره لإيجاد مرفأ آمن لقضاء ليلتنا تلك فيه.

وألقوا المرساة في شاطئ "البدايع" الذي يبعد مسافة حوالي نصف ساعة بالسيارة عن مقر البعثة، ولكن لو غادرت الشاطئ إلى مقر البعثة، فربما يغادرون ويتركونني؛ لذلك بتنا تلك الليلة في المركب.

في صباح اليوم التالي كانت الرياح مواتية واستأنفنا الرحلة عند الفجر، ووصلنا البر عند الساعة الثانية بعد الظهر، ولم نجد سيارة بطبيعة الحال، ولكن العاملين بدائرة الجمارك أرسلوا برقية إلى الهفوف لإحضار سيارة لنقلنا، وبينما كنا جالسين نتناول وجبة الغداء المكونة من التمر وحليب الغنم ظهرت لنا سيارة

(١) النوخذة: يقصد به الربان الذي يقوم بقيادة دفة المركب.

(الستيشن)[٢] - يسميها العرب بوكس - عند الساعة الرابعة والنصف، تجمعنا فيها وانطلقت في الساعة الرابعة وخمس وأربعين دقيقة. انتابتني الظنون حول السير في هذا الوقت عبر الصحراء، وأي صحراء؟!

واندفعنا فوق الكثبان الرملية صعودا ونزولاً سائرين دون توقف؛ إذ إن التوقف يعني الغوص في أعماق الرمال الرخوة. وبعد عبورنا كل تل رملي كنت أعتقد أننا سوف نغوص في التل الذي يليه لا محالة، بيد أن السائق كان ماهرا فهو يعرف تماما مقدار القوة والسرعة اللتين تلزمان سيارته الصغيرة " البوكس"، وفجأة عبرنا التل الأخير، وهناك ظهرت أمامنا سهول الحسا حيث أميال من أشجار النخيل الخضراء بقممها الشريطية تقابلها السماء المتوردة قرب أفول الشمس.

لا أظن أن هناك شيئا مثيرا يمكن القيام به في شبة الجزيرة العربية، مثل القيام بهذه الرحلة للمرة الأولى. ويذكر أولئك الذين وصلوا إلى أماكن أبعد نحو الداخل أن الطريق الذي بين الساحل والهفوف يعدُّ طريقا وعرا لا مثيل له من الساحل إلى أن تصل الرياض.

لا أظن أن هناك شيئا مثيرا يمكن القيام به في شبة الجزيرة العربية، مثل القيام بهذه الرحلة للمرة الأولى

وكنت أتأمل كيف عبر أطباؤنا هذه الصحراء القاحلة، وسلكوا هذه الكثبان وهم يمتطون ظهور الإبل والحمير، ويستغرقون فترة تتراوح ما بين ١٢ إلى ١٤ ساعة لقطع الرحلة فيما قطعتها سيارة " البوكس " في ساعة ونصف.

---

(٢) الستيشن: سيارة ذات هيكل خشبي مقفل وصفوف من المقاعد القابلة للطي خلف السائق.

تقدمنا نحو مدينة الهفوف المحاطة بالأسوار بعد حلول الظلام، وتمت مرافقتنا إلى منزل الأسرة التي كانت تترقب وصولنا، وقد اندهشت حينما قامت امرأتان بالترحيب بي يرتديان الزى الأوربي، وهما تركيتان ولدتا وترعرعتا في مكة. وقد أثار انتباههما الزي العربي الذي كنت أرتديه، إلا أن ما أثار إعجابهما أكثر الملابس الخاصة بي، ثم ألحتا علي بالذهاب إلى أعلى وارتداء ملابسي العادية.

شعرت أن المريضة لن تكون بحاجة لي لمدة أسبوعين آخرين؛ لذلك طلبت الأذن بالمغادرة والعودة فيما بعد غير أنهم ألحّوا علي بالبقاء لمدة يومين.

وقضيت يومين معهم لا يخلوان من المتعة، فقد حضرنا حفل زفاف، وذهبنا إلى الحدائق وكذلك العيون الحارة التي لم يسبق أن رآها بعضهم مع أنهم عاشوا طوال حياتهم بالأحساء.

كنت أرتدي الملابس العربية عند الخروج ومع ذلك يتم اكتشافي بأنني أجنبية.

وقد قمت بتركيب ماكينة خياطة للنساء من نوع سينجر (Singer)، وفي النهاية وعند تركيب البراغي في أماكنها دارت العجلة، فبدت المكينة جاهزة تماما موقعة في النفس الشعور بالسرور ولكنها لن تخيط؛ لذلك فقد أخفقت في عملي الذي قمت به في ذلك الصباح.

تلقينا دعوة من زوجة الحاكم وأخته واستضافتنا الزوجة على وجبة العشاء، فلا عجب أن تطرق أي رحالة أو ستكشف - فيما كتبه عن تجاربه في شبه الجزيرة العربية - إلى ذكر حسن الضيافة العربية التي طورها العرب الذي يسكنون المناطق الداخلية إلى فن جميل، فلو كانت هناك ملكة لن تكون أكثر تهذيبا

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز
العدد الثالث رجب ١٤٢٤هـ، السنة التاسعة والعشرون
الدارة

من زوجة الأمير؛ حيث جلست في قاعة الاستقبال الطويلة ذات السقف العالي والسجاد السميك، وفي الطرف البعيد من القاعة مستوقد[٣] تشكل خلفيته مجموعة من الأرفف تصطف عليها حوالي ثلاثين من دلال القهوة المصنوعة من النحاس الأصفر اللامع تعكس الضوء المنبعث من جذوة النار في الأسفل. وحينما جلست المضيفات والضيفات ظهرت الخادمات وبهدوء تام، وقمن برفع غطاء من فوق طاولات صغيرة بالقرب من المستوقد عليها صواني الفناجين وكؤوس الشاي المعدة للشاي والقهوة.

أمّا دلال القهوة التي يبلغ عددها ثلاثين كانت معروضة من أجل المظهر، أما الدلال الأربع التي يتم استخدامها دائما فهي موضوعة في المستوقد بالقرب من الجمر الساخن.

رغم أنني لم أقض سوى أيام قليلة في الحسا إلا أنني شعرت أنها تستحق ذلك الجهد والوقت، ومع تزايد الأجانب الذي يقومون بسد الاحتياجات الطبية في المناطق الداخلية من شبه الجزيرة العربية؛ فإن فرصنا في التجول قد تتضاءل شيئا فشيئا. ولكن كل موطن قدم مهما كان صغيرا يفيد.

وكانت النساء ودودات وتحدثن مرارا وتكرارا عن الحاجة لطبيبة في الحسا، وقال الطبيب الهندي المعين من قبل الحكومة الشيء نفسه، و ذكر أن ليس بوسعه أن يعمل من أجل النساء إلا شيئا يسيرا.

لقد كان أمرا سارا ونحن نلتقي نساء كن يعرفن أفراد بعثتنا الذين سبق لهم أن كانوا في منطقتي الحسا والرياض، وكذلك نساء أخريات كن مريضات في مستشفانا وأخريات كن يتلقين العلاج لدى الطبيبة / بارني (Barny) حينما كانت في الرياض.

(٣) المستوقد أو المدخنة: هو مكان في غرفة الاستقبال مخصص لإعداد القهوة والشاي ويسمى (الوجار) عند الأهالي.

قامت شركة النفط بإنشاء طريق جيد من الهفوف إلى الظهران حيث يقع مقرهم، فأصبح ممكنا الذهاب من الهفوف إلى الظهران خلال ثلاث ساعات، ومن الظهران إلى البحرين بواسطة (اللنش) في ثلاث ساعات أو حتى أقل في (لنش) الشركة.

كانت عودتي عن طريق الظهران، وقضيت ليلتين بها، ووصلت البحرين يوم الثلاثاء الموافق٣١ من شهر يناير.